السنة الأولى ماستر
تخصص علم اجتماع اتصال
مقياس:السيميولوجيا

المحاضرة الأولى

تعريف مصطلح السيميولوجيا لغة واصطلاحا: المصطلح يوناني الأصل، مركب من كلمتين؛ sémion بمعنى العلامة و logos بمعنى الخطاب أو العلم، وبامتزاج هذين الكلمتين يصبح لدينا الاصطلاح اللغوي المعروف بـ علم العلامات، أو علم الدلالات، وبالعربية يطلق على هذا المصطلح إسم علم الإشارات أو السيميائية. يوجه هذا العلم اهتمامه نحو دراسة مختلف أنواع العلامات اللفظية والغير لفظية ، أي أنه العلم الذي يروم دراسة العلامة بأنماطها المختلفة في حياة المجتمع، أو دراسة الشفرات أو الأنظمة التي تمنح قابلية الفهم للأحداث والأدلة بوصفها علامات دالة تحمل معنى ما.

تعريف العلامة : نقصد بها البديل الذي ينوب ويأخذ مكان فكرة أو شيئ آخر، بمعنى شيئ يقوم مقام شيئ آخر ويأخذ مكانه، ولكن هذا لا يمنع من أنه مختلف عنه. أما وظيفة العلامة فتكمن في معرفة الأشياء وذلك بحدوث صلة بين هذه الأشياء، مع وجود مسافة تفصل بين الشيء ورمزه. كالصورة الفوتوغرافية الدالة على صاحبها ولكنها في نفس الوقت تختلف عنه، أو ظل الشجرة الدال عليها ولكن الشجرة في نفس الوقت تختلف عن ظلها. هذا وتتسع وظيفة العلامة إلى مجالات عديدة كالمجال الايديولوجي والاجتماعي، والاقتصادي، والتحليل النفسي، وغيرها من مجالات الحياة المختلفة. وهي نوعان: نوع لساني موضوعه اللغة، ونوع عير لساني له علاقة بالحركات، والشم، والراحة، والرسم ، والموضة، والطعام، وإشارات المرور، وأحوال الطقس، وغيرها.

مراحل تطور السيميولوجيا: مرت السيميولوجيا بمراحل عديدة ومختلفة، وطرأت على نشأتها تغيرات كثيرة، إذ تعود إلى أقدم العصور وذلك لارتباطها ببدايات الانسان الأولى المتعلقة بما يدركه هذا الأخير من أمور وأشياء تحيط به، وعندما تهذب وتشذب واستقام عوده، شرع في تكوين أدوات تواصلية جديدة تتجاوز مستعملاته التواصلية القديمة، كالصراخ

والايماءات، وأصبح يتعامل مع علامات وأشكال رمزية جديدة، تتناسب مع ما اكتسبه من تعاملات اجتماعية متقدمة عن سابقتها. وتعتبر الحضارة الاغريقية خير مثال نستحضره في دراستنا لتطور مراحل السيميولوجيا، بحيث يحتوي الفكر اليوناني القديم على أساطير وفنون يستطيع الباحث السيميولوجي بموجبها معرفة طريقة عيش الشعب اليوناني، وهذا من منطلق تفسيره وتحليله وتمحيصه للعلامة الدالة على عادات وتقاليد وثقافة اليونانيين القدامى والمتمثلة في فنونهم وأساطيرهم. وتعد الرواقية أولى اللبنات في تاريخ التفكير السيميولوجي القديم، فلقد اهتمت المدرسة الرواقية بنظرية البرهان، وميزت بين الدال والمدلول في العلامة، وفي هذا يقول الباحث والفيلسوف الايطالي المعاصر **" أمبيرتو إيكو"** أن الرواقيين هم أول من اهتموا بالعلامة وأن دراسة هذه الأخيرة معهم تتعدى العلامة اللغوية إلى النظر في ثقافة المجتمع وفي السلوك، والعادات واللباس، ويوضح **"إيكو"** بأن الرواقيين المهاجرين إن صح التعبير إلى أثينا والحاملين لأصول متعددة تعود إلى الكنعانيين (فلسطين)، سوريا، لبنان، وإلى شمال افريقيا؛ ليبيا، تونس، الجزائر، والمغرب، هم أول من اكتشفوا أن أصوات اللغة والتي نقصد بها الدال، توجد وراءه مدلولات متماثلة مع اللغة اليونانية، وبحكمالتجربة لهؤلاء وكونهم ينحذرون من أصول مختلفة فلقد استطاعوا أن يفرقوا بين الدال والمدلول من خلال وجود عدة لغات. كما أشار **"إيكو"** في أعماله إلى جهود كل من أرسطو وأفلاطون، إذ سعى الأول في "كتابه العبارة" لتحديد العلاقة الموجودة بين العلامات وبين الأشياء الخارجية. وفي هذا يقول: "إن الأصوات التي يخرجها الانسان رموزا لحالات نفسية، والألفاظ المكتوبة هي رموز للألفاظ التي ينتجها الصوت، وكما أن الكتابة ليست واحدة عند البشرأجمعيين ، فكذلك الألفاظ ليست واحدة هي الأخرى، لكن حالات النفس التي تعبر عنها هذه العلامات هي واحدة عند جميع الناس" . أما عن القديس أوغسطين فيرى **" إيكو"** أنه من خلال طرحه للسؤال ماذا يعني أن نفسر ونؤول، ظهرت تلك العلاقة التي تربط بين السيميولوجيا والتأويل أي أن القديس أوغسطين عند تأويله للنصوص الدينية المقدسة وما تحمله هذه النصوص من معاني أصبح التأكيد موجود على إطار التواصل والاتصال في موضوع العلامة.

وتعتبر مرحلة العصور الوسطى مرحلة التأمل في العلامة واللغة وكان هذا مع روجيه بيكون وأبيلار. وفي القرن 17 أشار الفيلسوف الانجليزي "جون لوك" في كتابه " مقال نحو الفهم

البشري" إلى مصطلح السيموطيقا وذلك بهدف الاهتمام بطبيعة العلامات التي يستعملها العقل لفهم الأشياء. وفي سنة 1897 أعلن اللساني الفرنسي "بريل" "Breal " بحثا حديثا يهتم بدراسة تطور معاني الكلمات، واعتُبرهذا البحث ثورة في دراسة علم اللغة ومعانيها، وذلك بمعالجة تطورالألفاظ اللغوية ودلالاتها، وبهذا يعتبر أول من استعمل مصطلح علم الدلالة.

هذا ويعتبر القرن العشرين القرن الحاسم فيما يخص التحديد التاريخي للسيميولوجيا، إذ يتحدد عادة بالرجوع إلى العالم السويسري **" فردناند دوسوسير"** والعالم الأمريكي **"شارل ساندرس بيرس"** .

جعل دوسوسير اللسانيات اللغوية جزء من علم السيميولوجيا، وقال في كتابه "محاضرات في الألسنية العامة": " يمكننا أن نتصور علم يدرس حياة العلامات في صدر الحياة الاجتماعية، وهو يشكل جانبا من علم النفس الاجتماعي وبالتالي من علم النفس العام، إننا ندعوه بالسيميولوجيا تلك التي تدلنا على كنه وماهية العلامات والقوانين التي تنظمها...إن مكانتها محددة قبليا، وما الألسنة إلا جزء من هذا العلم العام، ولعله من الممكن تطبيق القوانين التي ستكونها السيميولوجيا على الألسنة" وبهذا حصر ديسوسير السيميولوجيا في دراسة العلامات في دلالتها الاجتماعية أي في خضم وداخل الحياة الاجتماعية .

أما بيرس فطرح السيميوطيقا في مقابل السيميولوجيا وربطها بالمنطق على خلاف دوسوسير الذي ربطها باللغة، وعن السيميوطيقا يقول بيرس: إنه لم يكن باستطاعتي يوما ما دراسة أي شيىء رياضيات كانت أم أخلاق، أم ميتافيزيقا أو تاريخ دون أن تكون هذه الدراسة سيميولوجية". لقد اعتبر بيرس السيميوطيقا، مذهب الطبيعة الجوهرية والتنوعات الأساسية للدلات الممكنة. ويقصد هنا الدلالات التي ينتجها الانسانمن خلال جسده ولغته، وزمانه ولباسه...ومن هذا المنطلق عرف هذا المصطلح انقسام بين تيارين مختلفين؛ التيار الفرنسي بزعامة دوسوسير، والتيار الأمريكي بزعامة بيرس، وبالرغم من تواجد هذا الاشكال على مستوى المصطلح إلا أن المصطلحين عرفا انتشارا متبادلا كما أنه فصلت الجمعية العالمية السيميائية في الاشكال المطروح عام1969 وتبنت مصطلح السيميائية.